تعديل موازين القوى الاجتماعية والسياسية في لبنان، على أرضية نوازع طبقية واضحة.

في الحروب السابقة، كانت مصالح القوى العربية المستفيدة من قوة اسرائيل ودورها ضد التيارات الوطنية ــ التقدمية تفصح عن نفسها بصورة ملتوية: بالتخاذل في المساهمة بالمواجهة، وباستثمار وجود الخطر الاسرائيلي لتشديد القمع وإغراق الجماهير بالاعباء، وبالدعوة الى الاستسلام بحجة الواقعية، وبأساليب أخرى من هذا القبيل؛ أما في هذه الحرب، فالتعبير عن المصالح كان سافراً، وفي الحالات التي نتحدث عنها، أفصح عن نفسه بغير ما التواء على الاطلاق.

وفي خلفية هذا التطور في التعبير، استند المعبرون عن أنفسهم الى سابقة مصر التي كان لرئيس جمهوريتها أنور السادات «فضل» التعبير الأول عن مصالح الرجعيات العربية مع اسرائيل. ولأن السادات كسر بعمله حواجز الحياء القومي التي كان أمثاله يتبرقعون بها فلم يعد لأمثاله من الراغبين في تطبيع العلاقات مع اسرائيل والاستفادة من دورها ضد خصومهم ما يخشون من اظهاره. واذا كانت سياسة كامب ديفيد هي التي ولدت ظروف نجاح الغزو العسكري الاسرائيلي للبنان وتصفية ردود الفعل العربية ضده، فهي أيضاً التي أفسحت في المجال أمام بعض القوى اللبنانية لكي تظهر تأييدها صراحة للغزو ورغبتها في الاستفادة من نتائجه.

ومن الحق أن الصراع العربي ــ الاسرائيلي يحكمه على الجانب العربي عاملان رئيسيان هما التناقض القومي والتناقض الاجتماعي ــ الطبقي، ويحدده صعوداً أو هبوطاً تداخل أو تمايز هذين العاملين. وقد أظهرت نتائج الحرب التي دارت على أرض لبنان أمرين هامين يجدر أن نسجلهما مع التأكيد على أن مزيداً من النقاش مطلوب لاستقصائهما على نحو أعمق وأشمل:

الأمر الأول: هذا التغليب الواضح لمستلزمات العامل الاجتماعي ــ الطبقي على العامل القومي، بحيث أصبح للعامل الأول تأثير أكبر، ومتزايد، في صياغة مواقف القوى العربية المعنية في الصراع. ومن تجليات هذا التغليب على الساحة العربية رخاوة رد الفعل العربي ضد الغزو الاسرائيلي للبنان، واحجام الدول العربية عن ممارسة الضغوط التي توفرها لها امكانياتها ضد الولايات المتحدة أو ضد اسرائيل، وقمع حكوماتها لمظاهر التأييد الشعبي لمنظمة التحرير. ولا شك في أن بروز هذا العامل سوف يسهم في استمرار وتسريع ضمور الأوهام الكثيرة التي راجت حول قومية الصراع مع اسرائيل، وخصوصاً عند الذين اعتادوا أن يغلبوا العامل القومي ويتصرفوا على أساس أن العرب يجمعهم شيء واحد مشترك، مهما تفرقوا، هو الموقف من اسرائيل. كما سيؤدي الى سقوط الرهانات العديدة التي بنيت على هذا الأساس.

والأمر الثاني: هو احتدام تأثير العامل القومي في الصراع العربي ــ الاسرائيلي على الساحة الفلسطينية وحدها، اذ أن الملاحقة الاسرائيلية للفلسطينيين وشراسة هذه الملاحقة وتصعيدها المستمر، وضعت كل فلسطيني، حتى من ظنّ منهم أن الأمر لا يعنيه، تحت مطرقة الخطر الاسرائيلي في كل مكان، في الضفة والقطاع استخلصوا هذه العبرة منذ وقت طويل والآن يستخلصها من فاتتهم من فلسطينيي المنافي.

وسينجم عن تأثير هذين العاملين، بتناقضهما الظاهر، تعقيدات جديدة، سواء في